مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

الصلة بين المعتزلة والعقلانيين(*)

الباحث/ عماد بن سليم بن عتيق الحسيني
باحث دكتوراه في الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

*) تاريخ تسليم البحث 15/10/2022 تاريخ قبوله للنشر 17/11/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

الصلة بين المعتزلة والعقلانيين

الباحث/ عماد بن سليم بن عتيق الحسيني
باحث دكتوراه في الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية

الملخص

يتناول البحث موضوع الصلة بين المعتزلة والعقلانيين الجدد، ويهدف إلى إبراز نشأة المدرسة العقلية القديمة والحديثة، وبيان السمات العامة للمدرسة العقلية القديمة والحديثة، وأوجه الشبه والاختلاف بين المعتزلة والعقلانيين الجدد.

وقد اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي.

ومن خلال هذه الدراسة توصل الباحث إلى عدد من النتائج، من أهمها وأبرزها:

١- أن النابتة الأولى للعقلانيين هم المعتزلة وهم مؤسسو المدرسة العقلية القديمة، والمدرسة العقلية الحديثة امتداد لهم.

٢- العلاقة بين المعتزلة والعقلانيين يكمن في تقديس العقل وتعظيمه على النصوص الشرعية ثم بعد ذلك يختلفون فيما بينهم في الأساليب والأدوات والأهداف والاتجاهات.

٣- المعتزلة والعقلانيين بينهم وارث وموروث وموروث

فالوارث: هم العقلانيين الجدد أو المدرسة العقلية الحديثة (المعتزلة الجدد).

والمورث: هم المعتزلة النابتة الأولى للمدرسة العقلية القديمة.

والموروث: تقديم العقل على النقل.

وما زالت تتجدد الأفكار والاتجاهات العقلية على اختلاف العصر ولكن من خلال التاريخ والواقع والتجربة نعلم: "أن لكل قوم وارث".

٤- أن سمة المدرسة العقلانية المعاصرة هي: المغالاة في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتجديد النظر في الاسلام وتفسيره حسب مقتضيات العصر الحديث من حيث العقيدة والفكر والتشريع والسياسة برفع اللافتات الجذابة والشعارات البراقة.

الكلمات المفتاحية: المعتزلة، المدرسة العقلانية القديمة، المدرسة العقلية الحديثة، العقلانيين الجدد.

The Relationship between the Mu'tazilah and Rationalists

Emad Bin Saleem Bin 'Ateeq Al-Husaini
PH.D Scholar in Post Graduate Studies, Islamic University

Abstract:

The study deals with the issue of the link between the Mu'tazilah and the new Rationalists. It aims to highlight the emergence of the old and modern mental schools. The study also aims to show the general features of the old and modern mental schools, and the aspects of similarities and differences between the Mu'tazilah and the new Rationalists. The researcher has used the inductive and analytical approach while investigating the study. Through this study, the researcher has found a number of results, the most important of which are:

1. The first seed of Rationalists is the Mu'tazilah, who are the founders of the old rational school, and the modern mental school is an extension of them.
2. The relationship between the Mu'tazilah and the Rationalists lies in the sanctification and glorification of reason over religious texts, and then they differ among themselves in methods, tools, goals and directions.
3. There are inheritors, predecessors and inheritance among the Mu'tazilah and the Rationalists:

   The inheritors: are the new Rationalists or the modern mental school (the new Mu'tazilah). The predecessors: are the first source, the Mu'tazilah of the old mental school. Inheritance: is the preference of mind over transmission, (Religious Texts).

   Thoughts and mental trends are still renewed at different times, but through history, reality and experience, we know that: “Every person has an inheritor”.
4. The characteristic of the contemporary rational school is: the exaggeration of the human mind and its priority over religion, as well as the renewal of the perspective of Islam and its interpretation according to the requirements of the modern era in terms of creed, thought, legislation and politics by raising attractive banners and bright slogans.

Keywords: Mu'tazilah, Old Rationalist School, Modern Mental School, New Rationalists.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾} [آل عمـران: ١٠٢]. {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾} [النساء: ١].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾} [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه وسلم – وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة(١).

أما بعد:

فإن الناس منذ عهد آدم كانوا على الفطرة والتوحيد عدة قرون، ثم حدث الانحراف فأول ما حدث الشرك والانحراف عن العقيدة في قوم نوح، فكان هو أول الرسل، قال الله تعالى: {إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ} [سورة النساء:١٦٣].

ويشهد لهذا قوله تعالى: { وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ } [سورة يونس:١٩].

فبعثة الأنبياء سببها إنحراف أممهم عن الدين الصحيح فكانوا يأمرونهم بالتوحيد وينهونهم عن الشرك قال تعالى: { وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ } [سورة النحل:٣٦].

وكان العرب على دين إبراهيم حتى وقع فيهم الشرك كغيرهم من الأمم وذلك حينما جاء عمرو بن لحي الخزاعي فغيَّر دين إبراهيم وجلب الأصنام إلى أرض العرب وإلى أرض الحجاز بصفة خاصة، فعبدت من دون الله، وانتشر الشرك في هذه البلاد المقدسة وما جاورها، إلى أن بعث الله نبيه محمدًا فدعا الناس إلى التوحيد واتباع ملة إبراهيم وجاهد في الله حق جهاده وكسر الأصنام حتى عادت عقيدة التوحيد، فأكمل الله به الدين وأتمَّ به النعمة على العالمين وسارت على نهجه القرون المفضلة من صدر هذه الأمة.

ثم تواردت على الناس الشكوك في دينهم بسبب ما حصل من الإعراض عن الوحي المطهر، واللجوء إلى الفلاسفة وقراءة كتب اليونان وترجمتها ونشرها بين الناس فظهر الفساد الديني والدنيوي في الأمة وما زال إلى يومنا هذا ونحن نتجرع تلك الويلات والبدع الدخيلة على الإسلام والمسلمين.

---

(١) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه كما يعلمهم التشهد في الصلاة. أخرجها ابن ماجه في سننه، كتاب: (النكاح)، باب: (خطبة النكاح (١/٦٠٩). وقد أفردها الشيخ الألباني رحمه الله في رسالة سماها: (خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمها أصحابه).

ومن أسباب ذلك تقديس العقل وتقديمه على الوحي المطهر "الكتاب والسنة"، وقد ظهر هذا الاتجاه في القرن الثاني على يد المعتزلة واستمر إلى وقتنا الحاضر بصور ووسائل مختلفة وتحت مسميات متعددة أشهرها (الاتجاه العقلاني) أو (العقلانيين).

وهذا بحث مختصر في بيان (الصلة بين المعتزلة والعقلانيين) فاسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تظهر أهمية دراسة المدرسة العقلية القديمة والحديثة وبيان الصلة بينهما فيما يلي:

أ. بيان الخطورة في توجه المدرسة العقلية وانعكاس أثرها في حياة المسلمين.

ب. بيان الهالة التي يحظى بها دعاة المدرسة العقلية وخاصة في وقتنا الحاضر لدى الجامعات العربية والإسلامية والعالمية، ولدى وسائل النشر المتخصصة، من كتب ومجلات وبرامج إذاعية وتلفزيونية، وتأثير في وسائل التواصل الاجتماعي مما يجعلهم – أحيانًا – الناطقين باسم الفكر الإسلامي المعاصر.

ج. أثر المدرسة العقلية المعاصرة في نشر أصولها القديمة بلافتات وعبارات براقة مما يتطلب تعرية هذا الاتجاه وبيان انحرافه وخطره على الاتجاه العام على الأجيال القادمة.

أهداف البحث:

يمكن إبراز أهداف البحث في النقاط الآتية:

١- بيان نشأة التيار العقلي في الإسلام على يد المعتزلة.

٢- التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة ونشأتها وأبرز سماتها.

٣- بيان خطورة الاتجاه العقلي الحديث في حياة المسلمين المعاصرة

٤- أوجه الشبه والاختلاف بين المعتزلة والعقلانيين الجدد

٥- بيان أن لكل قوم وارث ولكن تختلف الأساليب والأدوات والوسائل منهج البحث.

منهج استقرائي تحليلي، ويمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

١- جمع المادة العلمية المتعلقة بالصلة بين المعتزلة والعقلانيين، ثم تقسيمها وترتيبها حسب ما هو مدون في الخطة.

٢- الاعتماد في تقرير مسائل البحث على تحليل واستقراء منهج القوم من المعتزلة والعقلانيين وما ألف ذلك من رسائل.

٣- عزو الآيات القرآنية أو أجزائها الواردة في البحث إلى سورها مع ذكر رقم الآية.

٤- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منها، وإن لم يكن الحديث فيهما خرجته من كتب الحديث المعتمدة، مع ذكر حكم أهل العلم على الحديث صحةً وضعفاً.

٥- عزو الآثار الواردة في البحث إلى مصادرها.

٦- عزو الأقوال إلى قائليها مع توثيقها من مصادرها الأصلية.

٧- الالتزام بنقل أقوال وشبه المخالفين لأهل السنة من كتبهم إن وجدت، وما لم أجده فإني أنقله من خلال كتب أهل السنة مع التنبيه على ذلك في الهامش.

٨- ترجمة الأعلام غير المشتهرين ترجمة موجزة.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة في هذا الموضوع الذي يعتبر بحثي مكمل لها ما يلي:

١- المشابهة بين المعتزلة الأوائل والمعتزلة الجدد فؤاد الشلهوب.

٢- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب لمحمد حامد الناصر.

٣- العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون، علي حسن عبدالحميد.

٤- منهج المدرسة العقلية في التفسير للدكتور فهد الرومي.

٥- آليات الفكر المعتزلي لقراءة النص الديني قديمًا وحديثًا خلوات حليمة بحث جامعة محكم.

٦- أثر المعتزلة في الفكر الإسلامي الحديث لعمار بنجودة.

٧- موقف الاتجاه العلماني من تجديد الدين للدكتور خالد بن عبدالعزيز السيف.

٨- الاتجاهات العقلانية الحديثة للدكتور ناصر العقل.

٩- العقلانية: هداية أم غواية لعبدالسلام البسيوني.

١٠- موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية للأمين الصادق الأمين.

١١- التراث والتجديد، لحسن حنفي.

١٢- الاتجاهات العقلانية المعاصرة أصولها ومناهجها، للدكتور ناصر العقل.

١٣- الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديما وحديثًا للدكتور ناصر العقل.

١٤- التيار العقلي لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين المعاصرة للدكتور سهل العتيبي.

١٥- المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية للدكتور ناصر العقل.

١٦- المعتزلة بين القديم والحديث، لطارق عبدالحليم.

والجديد الذي تضيفه دراستي: الصلة بين المعتزلة والعقلانيين الجدد ببيان أن لكل قوم وارث، واختلاف الأساليب والأدوات والإمكانيات لا يلغي القاعدة في دراسة الفرق عامة ودراستي هذه على وجه الخصوص.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى: مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة.

المقدمة وفيها أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه ومنهجه والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: المعتزلة ونشأت المدرسة العقلية القديمة وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تسمية المعتزلة ونشأتها.

المطلب الثاني: السمات العامة للفكر المعتزلي.

المبحث الثاني: المدرسة العقلية الحديثة "العقلانيون" وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة ونشأتها.

المطلب الثاني: سمات المدرسة العقلية الحديثة.

المبحث الثالث: العلاقة بين المعتزلة والعقلانيين.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم النتائج.

تمهيد:

من رحمة الله تعالى أن يبعث لهذه الأمة في كل فترة من الزمن من يجدد لها دينها؛ لأنه مع طول الزمن والبعد عن آثار النبوة يحصل كثير من الإنحراف، وَيَخْفى كثير من السنن، ويَظهر كثير من البدع، ولما كانت رسالة النبي، عامة وباقية إلى أن تقوم الساعة وهو خاتم النبيين، جعل الله المصلحين من علماء هذه الأمة يقومون بمهمة تجديد الدين وإحياء السنن، ومحاربة البدع، وإصلاح العقائد، وحماية الشريعة من التغيير والتبديل، وجمع كلمة الأمة على الحق والهدى، فالعلماء هم ورثة الأنبياء كما قال النبي: "...وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء.."(٢).

وقد كان الصحابة جماعة واحدة على عقيدة واحدة، ولم يتنازعوا في أصول الاعتقاد، وإن اختلفوا في بعض الأحكام العملية الاجتهادية، وما حدث من بعض البذور للبدع والمحدثات، فقد كانت فردية في الغالب، أو من أناس ليسوا من المسلمين، كما أن هذه النزعات للابتداع لم تستقر ولم تنتشر بل كان يقضى عليها في مهدها.

وكان الصحابة والتابعون وتابعيهم يقفون لهذه البدع والمحدثات بكل حزم وعلم، فلم تفلت منهم؛ بل ردوها وبينوا الحق وأزالوا الشبهة، وعلى هذا سار السلف الصالح في كل زمان، وما من بدعة إلا ويقيض الله لها من يردها ويكشف عوارها وينصر السنة، وما من رأس من رؤوس الضلالة إلا ويقيض الله من أعلام السنة من يتصدى له ويكشف أمره، ويرد عليه بدعته ويقيم عليه الحجة.

وفي العصر الحاضر ظهرت اتجاهات وتيارات متعددة من لبرالية وعلمانية وشيوعية وتغريب وحداثة وتنوير وعصرانية إلى غير ذلك وهي في الحقيقة امتداد لاتجاهات وأفكار وفرق قديمة، ومن ذلك الاتجاه العقلاني المتمثل قديمًا في فرق أهل الإسلام وعلى رأسهم المعتزلة، حيث ظهرت كفرقة لها أصولها وأراؤها في القرن الثاني الهجري وتوسعت في المجتمع المسلم في بعض الفترات، وعملت على فرض معتقداتها بالقوة عبر بعض الخلفاء العباسيين الذين تأثروا بأفكارها وأصاب أهل السنة والجماعة من الأذى ما أصابهم فما عرف تاريخيًا بفتنة (خلق القرآن)، وظهر عدد من العلماء الذين أصلوا وشرحوا ونشروا مذهب الاعتزال وأفكار المعتزلة ودافعوا عنه، وانتهى سلطان المعتزلة بعد ذلك على يد الخليفة العباسي المتوكل(٣)، حيث نصر مذهب أهل السنة وحارب المعتزلة.

ومع ذلك استمرت أفكارهم في المجتمع المسلم عبر التاريخ حيث ظهر في العصر الحاضر من يجدد تلك الأفكار والأراء باسم الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتجديد الديني والعقلانية والعصرانية والحداثة ونحوها في المسميات، وحاول بعض الكتاب والمفكرين إحياء الفكر الاعتزالي والقضايا التي ناقشها رواد المعتزلة تحت مسميات ولا فتات معاصرة وسيُعرض في المباحث الآتية العلاقة بين المعتزلة قديمًا وبين العقلانيين والاتجاه العصراني الحديث، وأوجه الاتفاق والصلة بينهم.

---

(٢) سنن أبي داود أول كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، ح(٣٦٤١) قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٣) الخليفة جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون، أبو الفضل، القرشي العباسي، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الواثق سنة (٢٣٢) قال شيخ الإسلام عنه: (إن الله كشف الغمة عن الأمة في ولاية المتوكل على الله الذي جعل الله عامة خلفاء بني العباس من ذريته دون ذرية الذين أقاموا المحنة لأهل السنة، فأمر المتوكل برفع المحنة وإظهار الكتاب والسنة، وأن يروى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤٧٩/١١) قتل رحمه الله سنة (٢٤٧) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٠/١٢-٤١)، والبداية والنهاية وفيات سنة (٢٤٧).

المبحث الأول: المعتزلة ونشأت المدرسة العقلية القديمة

المطلب الأول: التسمية والنشأة

أولًا: سبب تسميتهم بالمعتزلة:

أشهر ما قيل في سبب تسميتهم بالمعتزلة، أن رجلًا دخل على الحسن البصري وسأل عن مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر؟

فتكلم واصل بن عطاء[٤] فقال: "أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافرٌ مطلقا؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى سارية من سواري المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسميَّ هو وأصحابه بالمعتزلة"[٥].

ثانيًا: نشأت المعتزلة ومنهجها:

من المعلوم أن البدع التي نشأت في الأمة الإسلامية لم تظهر دفعة واحدة، ولا في زمن واحد؛ بل ظهرت في أزمنة مختلفة، وفي أماكن متباعدة، ومن ذلك بدعة تقديم العقل على النقل التي ظهرت على يد المعتزلة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حيث نشطت المعتزلة في هذه الفترة، لا سيما بعد ترجمة كتب الفلاسفة، وانتشارها في عصر الخليفة العباسي المأمون[٦] (١٩٨-٢١٨) فاطلع عليها أئمة المعتزلة وشيوخهم وأفادوا منها، وتأثروا بها وظهر ذلك واضحاً في أقوالهم، وأحكامهم، التي لا تخلو من غرابة وشذوذ، وانحراف.[٧] يقول الشهرستاني: "...ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنًا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام"[٨].

ومعلومٌ أن الفلاسفة لم يؤمنوا بحقيقة وجود الرب عز وجل كما جاء بها الأنبياء؛ بل صاروا يعملون خيالاتهم وأوهامهم في البحث عن مصادر قوة هذا الكون ونظام هذا الكون وحركة هذا الكون؛ فتوهموا أن هناك عقولاً تدبر الكون. ويمكن القول بأن المعتزلة هم النابتة الأولى للمدرسة العقلية.

---

(٤) هو واصل بن عطاء الغزال، شيخ المعتزلة، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، ولد بالمدينة سنة (٨٠)هـ وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، وإليه تنسب الواصلية من المعتزلة.

انظر: ميزان الاعتدال (٣٢٩/٤)، ولسان الميزان (٢١٤/٦).

(٥) الملل والنحل، للشهرستاني (١/ ٤٨).

(٦) هو الخليفة العباسي، عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ، وولي الخلافة بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ ،ناصر المعتزلة في القول بخلق القرآن توفي سنة ٢١٨هـ.

انظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٢٨٧/١٠).

(٧) انظر: التيار العقلي المعاصر لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين، للدكتور سهل العتيبي (٩).

(٨) الملل والنحل، للشهرستاني (٢٩/١).

حيث أقبل المعتزلة على فلسفة اليونان يستلهمونها، يترسمون خُطَا أعلامهم، وينسجمون على منوالهم، وعلى كتب اليونان يتفهمونها ويهضمونها، وبناءً على ذلك حكموا العقل أكثر من تحكيمهم للشرع؛ بل جعلوا الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية فكذَّبوا ما لا يوافق العقل من الحديث وإن صح!!.

وأوَّلوا ما لا يوافقه من الآيات وإن وضحت! بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن الكريم لأرائهم وتفسيرهم لها تفسيرًا يتفق مع مبادئها، وقالوا بمعرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بهما شرع(٩).

ومن ذلك قول أحد كبارهم وهو القاضي عبدالجبار المعتزلي(١٠) عند سرده الأدلة الشرعية حسب ترتيبه: "أولها العقل؛ لأن به يتميز بين الحسن والقبيح؛ ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والاجماع"(١١).

ويقرر أن العقل هو الأصل والنقل هو الفرع التابع له، ولا يمكن – حسب زعمه – أن يستدل بالأدلة النقلية فيقول: "ولو استدللنا بشيء منها على الله لكنا مستدلين بفرع الشيء على أصله، وذلك لا يجوز"(١٢).

ويقول وهو يتحدث عن الأحاديث النبوية الشريفة وأقسامها من حيث القبول والرد: "وأما ما لا يعلم كونه صدقًا ولا كذبًا، فهو كأخبار الآحاد، وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا، إلا إذا كان موافقًا لحجج العقول قُبل، واعتقد بموجبه لا لمكانه، بل للحجة العقلية، فإن لم يكن موافقًا لها، فإن الواجب أن يرد، وأن يحكم أن النبي لم يقله، وإن قاله فإنما قاله على طريق الحكاية عن غيره، هذا إذا لم يحتمل إلا بتعسف، فأما إذا احتمله الواجب أن يتأول"(١٣).

وبناء على هذا المنهج الذي قرره زعيمهم رد المعتزلة كثيرًا من أحاديث الأحاد الصحيحة، بل المتواترة أحيانًا إذا خالفت المنهج العقلي(١٤).

---

(٩) انظر: العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون، لعلي الحلبي، ص(٥٣).

(١٠) هو أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني آبادي، من أشهر رجال المعتزلة، ولد بهمذان، كان في أول أمره أشعريًا في علم الكلام، وشافعيًا في الفقه ولكن بعد أن نظر وتأمل حاول اكتشاف الحقيقة رأى أن يتبع المعتزلة، أخذ عن أبي إسحاق بن عياش المتوفى سنة (٣٨٦هـ)، وكان ابن عياش من معتزلة البصرة، وتلميذًا لأبي هاشم الجبائي المتوفى سنة (٣٢١هـ) بالري. انظر: المنية والأمل، للقاضي عبدالجبار المعتزلي، ص (٥).

(١١) فضل الاعتزال، للقاضي عبدالجبار ص (٩٠).

(١٢) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص (٨٨).

(١٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، (٧٦٨-٧٦٩).

(١٤) من رموز المعتزلة مؤسسو المدرسة العقلية: واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ) وعمرو بن عبيد (ت ١٤٢هـ) وأبو معن ثمامة بن الأشرس (ت٢١٣هـ) ومعمر بن عباد السلمي (ت٢٢٠هـ) وأبو هذيل العلاف (ت ٢٢٦هـ) وهشام الفوطي (ت ٢٢٦هـ) والنظام (ت ٢٣١هـ) والجاحظ (ت ٢٥٥هـ) وأبو علي الجبائي (ت٣٠٣هـ) والزمخشري (ت ٥٣٨هـ). وكتبهم موجودة وشاهدة عليهم في تقريراتهم.

المطلب الثاني: السمات العامة للفكر المعتزلي

لقد ظهرت المعتزلة بمعتقدات واتجاهات بعضها من نشأتها هي، وبعضها امتداد لأهل البدع قبلهم، ويمكن إبراز أهم سمات الفكر المعتزلي فيما يأتي:

أولًا: التزام أصولًا خمسة ابتدعوها وهي:

أ. التوحيد: ويقصدون به: نفي الصفات عن الله، فهم يثبتون لله الأسماء على أنها أعلام محضة لا معاني لها، أما الصفات فبعض المعتزلة ينفي الصفات مع اختلاف في طريقة النفي، فبعضهم يقول: سميع لذاته لا بسمع، وبصير لذاته لا ببصر وهكذا..[١٥] وبعضهم يقولون: عالم بعلمه وعلمه ذاته، وقادر بقدرة وقدرته ذاته وهكذا...[١٦] فهؤلاء يثبتون الصفات على أنها هي الذات[١٧]، وشبهتهم في ذلك لأمرين:

الأمر الأول: أن أخص أوصاف الرب القدم، وإثبات الصفات يستلزم تعدد القدماء، فلو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية[١٨].

الأمر الثاني: أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه.

ب. العدل: ويقصدون به: نفي أن يكون الله خالقًا لأفعال العباد.

وشبهتهم في ذلك أنهم يقولون: لو أننا أثبتنا القدر فهذا يلزم عليه الجور والظلم في حق الله – تعالى الله عن زعمهم – إذ كيف يقدر الذنوب على العباد ثم يعاقبهم عليها[١٩].

ج. الوعد والوعيد: ويقصدون به: إنفاذ الوعيد وأن الله لا يقبل في أهل الكبائر شفاعة ولا يخرج منهم أحدًا من النار.

وشبهتم في ذلك: أن الذي يعد بوعد إذا لم يوفِ يعتبر مخلفًا للوعد ولذا قالوا: إذا عمل العبد الطاعة واجب على الله إدخاله الجنة كما يستحق الأجير أجرته وكذلك يقاس عليه في باب الوعيد عندهم[٢٠].

د. المنزلة بين المنزلتين: حيث نزّلوا أصحاب الكبائر في الدنيا منزلة وسطى بين الكفر والإيمان، وحكموا بخلوده في الآخرة إن لم يتب[٢١].

هـ. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وحقيقته عندهم ومؤداه: جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف[٢٢].

---

(١٥) مقالات الإسلاميين (١/١٣٥) وشرح الأصول الخمسة ص (١٢٩).

(١٦) مقالات الإسلاميين (٢/٣٦٢) وشرح الأصول الخمسة ص (١٨٣).

(١٧) الملل والنحل (١/٥٠).

(١٨) انظر: منية الأمل، للقاضي عبدالجبار ص(١٠٩-١١٠) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار (١٨٢-١٨٧).

(١٩) المصدر نفسه (٦١١) وما بعدها.

(٢٠) انظر: المصدر نفسه (٣٠١-٣٠٧).

(٢١) المصدر نفسه (٦٦٦- ٦٧٢) وانظر: ص (٦٩٥-٧٠٦).

(٢٢) المصدر نفسه (٧٤١-٧٤٤).

ثانيًا: تعظيم أمر العقل وتقديمه على النقل، ولهم في ذلك وسائل منها:

أ. ادعاؤهم أن النقل تابع للعقل وليس مستقلًا بنفسه وإن ذكر فهو يذكر للاعتضاد لا للاعتماد ومن أقوالهم مثلًا في مسألة الدليل العقلي أنهم يقولون: "ودلائله – أي أصول الدين– يقينية يحكم بها صريح العقل، وقد تأيدت بالنقل"(٢٣).

ب. تأويل الآيات القرآنية التي لا توافق العقل ومن أقوالهم في ذلك: "إن هذه الألفاظ الواردة في الكتاب والسنن المروية التي يوهم ظاهرها التشبيه وكون الباري تعالى جسمًا متبعضًا متجزئًا كانت كلها محتملة لمعان وراء الظاهر، والحجج المعقولة التي بيناها غير محتملة غير محتملة، والعقول من أسباب المعارف وهي حجة الله تعالى، وفي حمل الآيات على ظواهرها على ما حملت المجسمة والمشبهة – يقصدون أهل السنة والجماعة– إثبات المناقضة بين الكتاب والدلائل المعقولة... ولو حملت هذه الآيات على ما يوافق العقول لكان فيه إثبات الموافقة بين الحجج، وذلك مما تقتضيه الحكمة البالغة، فحمل تلك الدلائل السمعية على ظواهرها كان محالًا ممتنعًا"(٢٤) وبناء على هذا فالنصوص الشرعية يسلك فيها أحد أمرين إما التأويل أو التفويض.

ج. رد الأحاديث المخالفة للعقل ولو كانت متواترة أو في الصحيحين ومن أقوالهم: "أما التوحيد فالمرجع فيه إلى أدلة العقول.... ومن رام أن يعرف التوحيد أمكنه ذلك بالاستدلال بأدلته العقلية وليس طريقه الأخبار" وقالوا أيضًا: "كل لفظ يرد في الشرع مما يسند إلى الذات المقدسة أو يطلق اسمًا أو صفة لها وهو مخالف للعقل ويسمى المتشابه لا يخلو إما أن يتواتر أو ينقل آحادًا، والآحاد إن كان نصًا لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهرًا فظاهره غير مراد، وإن كان متواتر فلا يتصور أن يكون نصًا لا يحتمل التأويل، بل لا بد وأن يكون ظاهرًا وحينئذ نقول الاحتمال الذي ينفيه العقل ليس مرادًا منه.."(٢٥).

د. ادعاؤهم أن النصوص لا تفيد اليقين، ومن أقوالهم في ذلك: "إن سائر ما ورد به القرآن في التوحيد والعدل ورد مؤكدًا لما في العقول، أما أن يكون دليًلا بنفسه يمكن الاستدلال به ابتداء فمحال"(٢٦) وقالوا: "إن الدليل السمعي لا يفيد القين بوجود مدلوله إلا بشرط أن لا يوجد دليل عقلي على خلاف ظاهره"(٢٧).

فالقرآن عندهم ليست دلالته حجة قطعية يكتفى بها ويعتمد عليها وإنما هو تابع في الدلالة للعقل، والعقل أصل والقرآن تابع له في الدلالة، ولو كان القرآن يفيد اليقين لعد دليلًا مستقلًا بنفسه.

خامسًا: إنكارُ كثيرٍ من الغيبيات كالملائكة والجن واليوم الآخر(٢٨).

---

(٢٣) المواقف مع شرح الجرجاني (٥٩/١).

(٢٤) تبصرة الأدلة، ص (١٧١) وانظر: ص (٤٧٥).

(٢٥) المسامرة في شرح المسايرة ص (٣٢-٣٣).

(٢٦) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٧٤/٤-١٧٥) و: انظر: شرح الأصول الخمسة ص (٣٥٥).

(٢٧) نهاية العقول ص (١٤٣/١).

(٢٨) انظر: المنية والأمل، للقاضي عبدالجبار(١٣-١٦) وشرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (٦-٨٠٣) والمختصر في أصول الدين للقاضي ص (٣٣٧) و ص (٣٣٩-٣٤٣) .

المبحث الثاني: المدرسة العقلية الحديثة (الاتجاه العقلاني)

المطلب الأول: التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة "الاتجاه العقلاني"

المدرسة العقلية الحديثة: توجه فكري سعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية وذلك بلي أعناق النصوص وتأويلها بما يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، وقد نشأت هذه المدرسة عند ضعف الدولة العثمانية في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجري في مصر على يد: جمال الدين الأفغاني[٢٩] ومحمد عبده[٣٠].

وفي تلك الفترة كان الغرب متقدم في الحضارة والماديات؛ ولأجل ذلك كان موقف هذه المدرسة محاولة التأقلم مع الحضارة الغربية مع الإبقاء على الانتماء الإسلامي فدعت إلى الأخذ بتلك الحضارة متأوله ما يتعارض معها من نصوص شرعية[٣١].

والمتأمل في أقوال وكتابات هذه المدرسة يجد أنهم قد تأثروا بأسلافهم المعتزلة في التعامل مع نصوص الوحي فرَدّوها بالعقل أو حرفوها، وساروا على منوالهم حذو القذة بالقذة[٣٢] وفي المطلب التالي بيان شيئًا من سماتهم.

المطلب الثاني: السمات العامة لفكر المدرسة العقلية الحديثة

١- الغلو في تحكيم العقل وتقديمه على النصوص الشرعية:

يقول محمد عبده في ذلك: "رفع القرآن من شأن العقل ووضعه في مكانه بحيث ينتهي إليه أمر السعادة، والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع"[٣٣].

وقال أيضًا: "اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلًا ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دلَّ عليه العقل"[٣٤].

---

(٢٩) جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني ولد سنة ١٢٥٤هـ من تلاميذه: محمد عبده هو مؤسس العقلانية المعاصرة توفي سنة: ١٣١٤هـ انظر: انظر: تاريخ الاستاذ محمد عبده ومحمد رشيد رضا (٧٤/١).

(٣٠) هو محمد بن عبده بن حسن بن خير الله ولد سنة: ١٢٦٥هـ تتلمذ على كتب الفلاسفة والمعتزلة والمتكلمين وكان يرجح مذهبهم، من مؤسسي المدرسية العقلية المعاصرة. انظر: تاريخ الاستاذ محمد عبده ومحمد رشيد رضا (١٦/١).

(٣١) محمد عليش المالكي المتوفى سنة ١٢٩٩عاصر مؤسسو هذه المدرسة فكان يحذر منهم ومن منهجهم انظر: تاريخ الأستاذ الإمام لرشيد رضا (٩٠/١).

(٣٢) من أشهر رموز العقلانيين الجدد: جمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٤هـ) ومحمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) والسيد محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) وعبدالعزيز جاويش (ت١٣٤٧هـ) وأحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) ومحمد فريد وجدي (ت ١٣٧٣هـ) وعبدالقادر المغربي (١٣٧٥هـ) ومحمد شلتوت (ت١٣٨٣هـ).

(٣٣) رسالة التوحيد، ص (٢٥).

(٣٤) الإسلام والنصرانية، ص (٥٦).

ويقول محمد رشيد رضا: "ذكرنا في المنار غير مرة أن الذي عليه المسلمون من أهل السنة وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامهم أن الدليل العقلي القطعي إذا جاء في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل القطعي متعين، ولنا في النقل التأويل أو التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي تدرس في الأزهر وغيره من المدارس ...."(٣٥).

إذا: بسبب هذا التيار جندت أقلام بعض ممتهني الصحافة أو الكتابة، عبر الوسائل المقروءة أو المسموعة أو المرئية لتقرير هذا التيار والدفاع عنه، فراحوا يخوضون في النصوص الشرعية بغير علم، فعرضوا الحدود والجنايات على العقل، وعرضوا الولاء والبراء في الاسلام على العقل، وعرضوا بعض المسلمات في قضايا المرآة المسلمة وشؤونها على العقل.

٢- تفسير القرآن مخالفًا لتفسير السلف وموافقة العقل والهوى.

ومن ذلك قولهم: في تفسير قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ} [سورة الفجر: ١٠]. يقول محمد عبده: "وفرعون هو حاكم مصر الذي كان في عهد موسى، وللمفسرين في الأوتاد اختلاف كبير وأظهر أقوالهم ملاءمة للحقيقة أن الأوتاد المباني العظيمة الثابتة، وما أجمل التعبير عما ترك المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد! فإنما هي الأهرام، ومنظرها في عين الرائي منظر الوتد الضخم المغروز في الأرض، بل إن شكل هياكلهم العظيمة في أقسامها شكل الأوتاد المقلوبة!، يبتدي القسم عريضًا وينتهي بأدق مما ابتدأ، وهذه هي الأوتاد التي يصح نسبتها إلى فرعون على أنها معهودة للمخاطبين.."(٣٦).

وكذلك تفسيرهم في قوله تعالى: {ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾} [سورة الملك: ١٦].

يقول عبدالقادر المغربي: "من في السماء هو الله تعالى، ولكن قام البرهان العقلي على أن الإله الأزلي خالق الكل وضابط الكل لا يتصور أن يكون مستقرًا في مكان، فوجب إذًا صرف الآية عن ظاهرها، وحملها على معنى يلتحم مع ما أثبته العقل وقام عليه البرهان.. "(٣٧).

٣- رد الأحاديث التي لا يمكن تأويلها، متواترةً أو آحادًا في الصحيحين أو غيرهما، وعدم قبول خبر الأحاد في باب العقائد.

المدرسة العقلية اتخذت الطعن في الحديث منهجًا لها لترويج منهجها العقلي ومن أقوالهم: "كل لفظ يرد في الشرع مما يسند إلى الذات المقدسة أو يطلق اسمًا أو صفة لها وهو مخالف للعقل ويسمى المتشابه لا يخلو إما أن يتواتر أو ينقل آحادًا، والآحاد إن كان نصًا لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان

(٣٥) شبهات النصارى وحجج الإسلام، ص (٧١-٧٢).

(٣٦) تفسير جزء عم، لمحمد عبده، ص (٨٤).

(٣٧) المدرسة العقلية الحديثة، ص (٢٩٦).

ظاهرًا فظاهره غير مراد، وإن كان متواتر فلا يتصور أن يكون نصًا لا يحتمل التأويل، بل لا بد وأن يكون ظاهرًا وحينئذ نقول الاحتمال الذي ينفيه العقل ليس مرادًا منه.."[٣٨].

٤- الطعن في الصحابة والتابعين خصوصًا رواة الأحاديث.

معلومٌ أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للعقيدة، وقد دلت النصوص على حجيتها كقوله تعالى: {وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ } [سورة الحشر:٧]. ولكن أرباب التيار العقلاني؛ ردوا نصوصًا كثيرة من السنة النبوية الصحيحة ولهم في ذلك طرقًا مختلفة، فأول شيء يؤولون الحديث بما يوافق أهوائهم وعقولهم فإن أعياهم تأويل الحديث ولم يجدوا لذلك سبيلا لجئوا إلى رد الحديث، فإن كان غير متواتر استراحوا وقالوا: هذا خبر آحاد ظني الدلالة ولا نقبله، وهؤلاء هم المعتزلة القدماء، والمعتزلة الحديثة والمعاصرة قصروا قبول خبر الآحاد على الأحكام دون العقائد، وليس لديهم على هذا التفريق دليل صحيح، وهم مع ذلك تراهم لا يلتزمون بهذا التأصيل الذي أصلوه في خبر الآحاد، فحتى الاحكام يردون بعض الأحاديث الظنية فعاد الأمر إلى الهوى وتحكيم العقل. وكذلك يسعون إلى الطعن في رواة الحديث؛ ليردوا الأحاديث الثابتة عن النبي.

٥- إنكار المعجزات، وكثير من الغيبيات:

الإيمان بالغيب هو محك التمييز بين المسلم والكافر، فإنكاره إبطال الشريعة، وتعطيل للأوامر والنواهي، وتكذيب للرسل والشك فيما أتوا به.

والتيار العقلي ينكر الغيب وبسبب ذلك وقع الشك والحيرة في الدين يقول حسن حنفي: "يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين، ويكون مسلمًا حقا في سلوكه"[٣٩] وهل يخفى عليه أن الإيمان بالغيب ركن من أركان الإيمان؛ بل هو أول وصف وصف الله به المتقين في كتابه في قوله تعالى: { ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ } [سورة البقرة:٢-٣].

٦- الدعوة إلى تقارب ووحدة الأديان:

يقول جمال الدين الأفغاني: "إن الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق استكمله الثانية.... وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير: أن يتحد أهل الأديان الثلاثة مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة"[٤٠].

---

(٣٨) تقدم ذلك ص (١٢).

(٣٩) قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، لحسن حنفي، ص (٩٣).

(٤٠) الأعمال الكاملة، لجمال الدين الأفغاني، ص (٢٩٤-٢٩٥).

ويقول محمد عبده: "وإنا نرى التوراة والانجيل والقرآن ستصبح كتبًا متوافقة، وصحفًا متصادقة يدرسها أبناء الملتين، ويوقرها أرباب الدينين، فيتم نور الله في أرضه، ويظهر دينه الحق على الدين كله"(٤١).

وهذا كله فيه تجاهل للتحريف الذي وقع في اليهودية والنصرانية، وتجاهل لكون الاسلام ناسخ للأديان السابقة، وإبطال أن يكون محمد خاتم النبيين.

فالدين الإسلامي يدعو إلى التسامح والسلام وحسن التعامل والعدل ونصرة المظلوم ولكن هذا لا يعني الدعوة إلى وحدة الأديان والاعتراف بالكفر والشرك وإقراره.

ولا شك أن هذه الدعوة مخالفة للمسلمات والثوابت الشرعية، فالدعوة إلى وحدة الأديان تضاد عقيدة الولاء والبراء التي قررتها الشريعة، وهي في حقيقتها تذويب للأديان وامتصاص لعداوتها لليهودية والنصرانية، وحينما يتم التقريب من الأديان فإن العلمانية هي النتيجة، وحينئذ يسهل القضاء عليها لتزول الأديان كلها، وتتحقق أهداف الماسونية بل أهداف الصهيونية(٤٢).

٧- محاولة تحريف الدين وتنحية الشريعة باسم التجديد:

دعا أرباب هذا التيار إلى التجديد والنظر في الاسلام حسب مقتضيات العصر الحديث عقائديًا وفكريًا، وتشريعيًا، إما بدعوى أن الإسلام يتطور كسائر الأنشطة البشرية، أو لمسايرة الفكر الغربي والحياة الغربية أو لدعوى التطور والحضارة.

ولهذا نجدهم ينادون بالشعارات الخادعة: كالتحرير، والتطوير، والتنوير، والحداثة، والعصرانية، والتجرد العلمي الموضوعي. وإذا حققنا في الأمر وجدنا أنهم أبعد الناس في الجملة عن هذه الشعارات وهذه الحقائق(٤٣).

وحقيقة هذه الدعوى: تبديل الدين وتغيير أحكام الشريعة الربانية وإخضاع الثوابت وأصول الاعتقاد للأهواء والأمزجة. وتمييع الدين، ومحاولة عزله عن الحياة.

وذلك تبعًا للتجديد المستمر الذي ينادون به، وفتح الباب لكل عقل بأن يقول في دين الله ما شاء، ولتحقيق هذه الدعوى نادوا بتفسير بعض القضايا الإسلامية تفسيرًا عقلانيًا، وحاولوا إخضاع القرآن والسنة للمقاييس المادية حتى تتلاءم مع منهج وقيم الحضارة الغربية التي يرونها المقياس الوحيد لكل وتقدم(٤٤).

٨- العداوة للحق وأهله وتمجيد الشخصيات المنحرفة:

بسبب هذا المنهج، وبسبب إعراضهم عن الوحي، وإتباع العقول المتضاربة والمختلفة، إلتبس على هؤلاء الحق بالباطل، فظنوا أن ما هم عليه هو الحق، وأن ما عليه سلف الأمة وأئمتها باطل، ولذلك عادوا أهل السنة وأهلها، ورموهم بالأقوال الشنيعة، ووصفوا كتبهم بالأوصاف المنفرة، بل حذروا من قراءتها(٤٥).

---

(٤١) الأعمال الكاملة، لمحمد عبده، ص (٢/٣٥٥-٣٥٦).

(٤٢) انظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، فهد الرومي ص (١/١٣٧).

(٤٣) انظر: الاتجاهات العقلانية المعاصرة أصولها ومناهجها، لناصر العقل ص (٢٣).

(٤٤) انظر: اتجاهات الفكر الإسلامي، للدكتور محمد جمال (٢/٥٥٣).

(٤٥) انظر: التيار العقلي لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين المعاصرة، د. سهل العتيبي (٢١).

وكذلك مما يميز أرباب هؤلاء الفكر العقلاني: إثارة الشبهات والأراء الشاذة للناس في العقيدة من أجل إضلالهم، وإحياء الفرق المنحرفة ونشرها بين المسلمين، وتمجيدها والدعاية لها بدعوى التسامح الديني، وحرية الفكر والاعتقاد(٤٦).

وبهذا يمكن القول بأن المدرسة العقلية الحديثة تفوق القديمة في شعاراتها وإمكانياتها ووسائلها، فهي تحمل شعارات براقة، وترفع لافتات جذابة كالتنوير، والمعاصرة، والتجديد، والتطوير، والحرية الفكرية، والثقافية، والتحرير، وغير ذلك مما يستهوي المثقفين والشباب وينطلي على الدهماء والسذج(٤٧).

إذا هذه بعض السمات البارزة للتيار العقلاني المعاصر وكل يوم تتجدد الأساليب والأدوات فتجدد الأهداف **ويمكن القول في أن سمة المدرسة العقلانية المعاصرة هي: المغالاة في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتجديد النظر في الاسلام وتفسيره حسب مقتضيات العصر الحديث من حيث العقيدة والفكر والتشريع والسياسة مع رفع اللافتات الجذابة والشعارات البراقة التي تخدع الدهماء والسذج من الناس.**

المبحث الثالث: العلاقة بين المعتزلة والعقلانيين

المدرسة العقلانية الحديثة إنما هي امتداد، أو على أقل تقدير تلتقي وتتفق في كثير من أصولها وآرائها مع الاتجاهات العقلانية القديمة، مع بعض الفروق الشكلية الطفيفة، فالمتأمل لهذه الاتجاهات قديمها وحديثها: يجزم بأنها تشكل مجموعة واحدة، متشابهة ومتشابكة، وأن الحديثة امتداد طبيعي للقديمة بإحياء تراثها وتمجيدها واقتفاء آثارها مع اختلاف في الأساليب والدعوات(٤٨).

ولهذا يحسن بيان أوجه الشبه والصلة بين المعتزلة مؤسسو المدرسة العقلية القديمة وبين العقلانيين الجدد (المعتزلة الجدد).

ولهذا يمكن القول بأن المعتزلة والعقلانيين قد اتفقوا على وحدة الأصول والأهداف ويظهر ذلك جليًا في عرضها على سبيل الاجمال:

أولاً: اتفاق المدرستين على إكبار العقل، وتقديمه على النص فيما لا مجال للرأي فيه، وإخضاع الثاني للأول.

ثانيًا: اتفاقهما في التبعية للمذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام أو الميل إليها والاشادة بها.

ثالثًا: استباحة الخوض في أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وليس للعقل قدرة على تصورها فضلًا عن الحكم عليها، وعدم احترام ما ورد بطريق الوحي في القرآن والسنة الصحيحة في بعض الأمور الغيبية.

رابعًا: الاستهانة بأحكام الله وشرعه أو بعضها، وبالحلال والحرام، والأخلاق والتشريعات والعبادات وعدم التسليم لله فيها، وذلك بالمعارضة والتبديل والتحريف والزيادة والنقص والاستهزاء بأحكام الله والتشكيك في دينه، ومعارضة الأحكام بالرأي والخوض في المسائل الشرعية بغير فقه، وإن كانوا يظهرون الاعتزاز بالإسلام والانتصار له، والدفاع عنه، والعودة إليه ولكن من منظورهم هم، لا على السنة.

---

(٤٦) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع، لناصر العقل (٤١٥/٢).

(٤٧) انظر: دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف الإسلام منها، لناصر العقل (٣٦٠/٢).

(٤٨) المعتزلة نشأتها وأصولها ومنهجها وموقف السلف منها، لناصر العقل، ص (٢٠٦).

خامسًا: الجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة في العقيدة وأصول الاسلام، وإحياء النحل والمذاهب المنحرفة بين المسلمين، وتمجيدها والدعاية لها باسم التسامح الديني وحرية الفكر والاعتقاد.

سادسًا: اتفقوا على رد النصوص التي لا تناسب أهوائهم وأصولهم الفاسدة وعقولهم القاصرة.

سابعًا: يتفقون جميعًا على لمز أهل السنة والتهوين من شأنهم، ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل، وأن الاتجاهات السلفية عقيمة.

ثامنًا: الدعوة إلى تفسير القرآن والسنة، وتأويلها تأويلًا عقلانيًا جديدًا، حسب كل عصر، دون اعتبار تأويل السلف والصحابة(٤٩).

تاسعًا: تمجيد رواد الاتجاهات العقلانية الحديثة للفرق المنحرفة القديمة وأسفهم عليها والعمل على إحيائها، وارتباطهم الوثيق بتراثها. نسأل الله أن يوهن مكرهم وكيدهم والله أعلم.

الخاتمة:

الحمد لله على ما يسر وأعان في إتمام هذا البحث المختصر، ويمكن إبراز النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية:

أ. أن المعتزلة هي إحدى الفرق الكلامية التي ظهرت في القرن الثاني الهجري، ومرت بعدة مراحل.

ب. أن المعتزلة أقبلوا على فلسفة اليونان يستلهمونها، وأعلام اليونان؛ يترسمون خطاهم، وينسجمون على منوالهم، وعلى كتب اليونان يتفهمونها ويهضمونها حتى جعلوا القواطع العقلية مقدمة على النصوص الشرعية.

ج. النابتة الأولى للعقلانيين هم المعتزلة وهم مؤسسو المدرسة العقلية القديمة، والمدرسة العقلية الحديثة امتداد لهم.

د. العلاقة بين المعتزلة والعقلانيين يكمن في تقديس العقل وتعظيمه على النصوص الشرعية ثم بعد ذلك يختلفون فيما بينهم في الأساليب والأدوات والأهداف والاتجاهات.

هـ. المعتزلة والعقلانيين بينهم وارث ومورث وموروث.

فالوارث: هم العقلانيين الجدد أو المدرسة العقلية الحديثة (المعتزلة الجدد).

والمورث: هم المعتزلة النابتة الأولى للمدرسة العقلية القديمة.

والموروث: تقديم العقل على النقل.

وما زالت تتجدد الأفكار والاتجاهات العقلية على اختلاف العصر ولكن من خلال التاريخ والواقع والتجربة نعلم: "أن لكل قوم وارث".

وأن سمة المدرسة العقلانية المعاصرة هي: المغالاة في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، وتجديد النظر في الاسلام وتفسيره حسب مقتضيات العصر الحديث من حيث العقيدة والفكر والتشريع والسياسة برفع اللافتات الجذابة والشعارات البراقة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(٤٩) انظر: كتاب الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديمًا وحديثًا، لناصر العقل، ص (٢٠٥-٢١١) بتصرف.

المصادر والمراجع:

التيار العقلي لدى المعتزلة وأثره في حياة المسلمين المعاصرة، د. سهل العتيبي.
تاريخ الاستاذ: محمد عبده ومحمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر، ١٣٥٠هـ.
الملل والنحل، للشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.
ميزان الاعتدال، للذهبي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.
لسان الميزان، لابن حجر، دار المعرفة النظامية، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ.
المنية والأمل، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، جمعه: أحمد بن يحيى المرتضى، دار المعرفة ١٩٨٥م.
المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار المعتزلي.
البداية والنهاية، لابن كثير، الناشر: دار إحياء التراث، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ.
العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون، لعلي الحلبي، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية.
رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع، لناصر العقل، دار الوطن، الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ.
الاسلام والنصرانية، لمحمد عبده، الطبعة السادسة، دار المنار، ١٣٦٧هـ.
شبهات النصارى وحجج الاسلام، لمحمد رشيد رضا، الطبعة الثانية: دار المنار ١٣٦٧هـ.
قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، لحسن حنفي، دار التنوير، بيروت.
منهج المدرسة العقلية في التفسير، لفهد الرومي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.
اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر، للدكتور محمد جمال، دار عالم الكتب، الرياض ١٤١٤هـ
الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، جمع محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
الأعمال الكاملة لمحمد عبده، جمع محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨١م.
الاتجاهات العقلانية المعاصرة أصولها ومناهجها، لناصر العقل، دروس صوتية في المكتبة الشاملة قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديما وحديثًا، لناصر العقل، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
المسامرة في شرح المسايرة للكمال بن أبي شريف بن الهمام، الطبعة الأولى، القاهرة المكتبة الأزهرية للتراث ٢٠٠٦م.
المغني في أبواب العدل والتوحيد للقاضي عبد الجبار المعتزلي بتحقيق د. محمد مصطفى د. أبو الوفاء الغنيمي، طبعة القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م.
تبصرة الأدلة في أصول الدين لأبي المعين النسفي تحقيق وتعليق د. حسين آقاي، طبعة أنقرة، رئاسة الشؤون الدينية للجمهورية التركية ١٩٩٣م.
شرح المواقف لعلي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى بيروت الكتب العلمية ١٤١٩هـ.
نهاية العقول في دراية الأصول لمحمد بن عمر الرازي الطبعة الأولى، بيروت، دار الذخائر ١٤٣٦هـ.
دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف الإسلام منها، للدكتور ناصر العقل ط الأولى ١٤٣٢هـ.